

المدخل :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ؛

فهذه وقفات سريعة مع الجهاد والمجاهدين في أفغانستان ، وليس مع المجاهدين الأفغان ؛ لأن الجهاد في أفغانستان لم يكن جهادًا محصورًا على الأفغان وحدهم ، وهكذا ينبغي أن يكون الجهاد . وقد اختلفت مناسبات هذه الوقفات وأوقاتها ، وعكست حالة الجهاد والمجاهدين في أفغانستان طيلة صمودهم مع القوى الشيوعية في أربع عشرة سنة ، بدأت في ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م إلى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م . وكانت هذه السنوات الأربع عشرة حافلة بأحداث ثرة حلت بالمجاهدين داخل الأرض الأفغانية (ساحة الجهاد) وخارجها (الجبهات المساندة) القريبة من ساحة الجهاد والبعيدة عنها ، ومع الشيوعيين ، ومع غير الشيوعيين . وقد سجلت هذه المرحلة ملحمة جهادية ، يعكف العلماء والمفكرون الآن على توثيقها بموضوعية وتجرّد ، على ما هو مأمول ، ومن ثمّ إخراجها في موسوعة علمية متخصصة بهذه المرحلة من حياة الأمة ، ليعتبر بها الآخرون من أبنائها ويستفيدوا مما حلّ بالمجاهدين في أفغانستان إيجابًا أو سلبيًا .

ومع انتصار المجاهدين في أفغانستان على عدوهم من الخارج في شهر رمضان المبارك من عام ١٤١٢ هـ الموافق لشهر أبريل من عام ١٩٩٢ م دخلوا مرحلة جديدة من الجهاد تختلف - تمامًا - عن المرحلة التي خاضوها ، واجتازوها منتصرين بفضل الله تعالى ومنته . وبقوا في المرحلة الجديدة مدة من الزمن لم يتمكنوا فيها من الخروج من «عنق الزجاجة» مما جعلهم مجالاً لشماتة الأعداء وبعض الأصدقاء كذلك ، ومما جعل القاصي والداني يقلل

من شأنهم ، ويشكك في نواياهم ، ويرميهم بالتهم ، بل وينسف الجهود التي قاموا بها طيلة العشرين سنة الماضية ، منذ أن بدأوا بالتوجه العملي نحو التخلص من الجسم الفكري والعقدي الثقيل الذي حلَّ بأرضهم . وجعلت هذه المرحلة الجديدة أعداء فكرة الجهاد يشمتون بأولئك المتحمسين لها ، المدافعين عنها المنافحين . بل جعلت هذه المرحلة الجديدة بعض المتحمسين لفكرة الجهاد في أفغانستان ممن كانت لهم أياد بيضاء في المرحلة السابقة يقلبون «ظهر المجنَّ» ، ويشعرون بالإحباط نظرًا لما حلَّ بالمجاهدين الأفغان في المرحلة التالية ، مرحلة ما بعد النصر على الأعداء من الخارج .

ولا أدعي هنا أنني أتميّز عن غيري في متابعة هذه الرحلة الطويلة ، ولكنني وفّقت للعمل للمجاهدين فترة محدودة من الزمان كانت عندي مليئة بالأحداث المتتالية التي جعلتها بالنسبة لي وكأنها زمن طويل ، وهي لم تتعدَّ سنة ونصف السنة فقط . وأستطيع في هذا المدخل للوقفات التالية أن أخرج بالنتائج التالية التي أعدها من الأسباب التي أسهمت في وصول المجاهدين الأفغان إلى ما وصلوا إليه في المرحلة التي تلت النصر . وأظن أن أبرز هذه الأسباب التالي :

١ - أننا - نحن المسلمين في غالبنا - قد غلبنا في نظرنا للجهاد العاطفة على العقل . وكنا بحاجة ملحة إلى قيام الجهاد ، فوجدناه قد قام في أفغانستان في الوقت الذي كان من المتوقع فيه أن يقوم الجهاد في فلسطين المحتلة . فلما قام في أفغانستان بالصورة الواضحة ، أوضح من قيامه في غيرها من بلاد المسلمين كان هذا الاندفاع غير المكبوح لفكرة الجهاد .

٢ - أننا - نحن المسلمين في غالبنا - نظرنا إلى المجاهدين الأفغان ، جميعهم ، على أنهم صفوة الصفوة في هذا الزمان ، بل إن منا من لم يطبق

عليهم المعايير البشرية التي طبقت على من قبلهم، بما فيهم صحابة المصطفى محمد ﷺ أفضل جيل في هذه الأمة وغيرها، فرفعنا المجاهدين في أذهاننا، غالبنا، رفعة أعلى من رفعتهم التي رفعهم الله إياها، فكان لهذا أثره عندما تبين لنا أننا «تعامل» مع بشر يختلفون، ويحصل بينهم ما يحصل بين البشر.

٣ - كانت هناك قضايا ملحة تعدُّ من متطلبات الجهاد أوتر لها أن تؤجَّل حتى يصل المجاهدون إلى كابول، أي حتى يتم النصر ثم يلتفت إليها. ومن أبرز هذه القضايا الملحة - فيما يبدو لي - تزامن الجهاد مع الدعوة، إذ إن الدعوة قد أريد لها - بحسن نية - أن تنتظر حتى ينتهي المجاهدون من القتال. ولا يعني هذا انعدام الدعوة، بل المقصود عدم التزامن في المدى فقط. و ينتظر من المجاهدين الآن وقد تمَّ النصر بحمد الله أن يجدوا في مجال الدعوة لتوجيه دفة الأمة إلى الخير بإذن الله تعالى.

٤ - سمحت ساحة المجاهدين بالفرقة والتحزب وتغليب الأهواء أحياناً. بل ربما التشجيع غير المباشر وغير المقصود على ذلك، فكان هناك تشجيع على خروج التابعين لتنظيمات قائمة، وتشكيل تنظيمات جديدة. والذي دعا لذلك عدة أسباب، لعل من أهمها محاولة الخروج بقيادة جهادية أفضل بعد أن ظهرت بعض التجاوزات التي لا تليق بمجاهد.

٥ - (مارس «الدرهم والدينار» أثرًا غير طيب في حالات وفي بعض الوجوه عندما لم يكن هناك تنسيق بين الجمعيات والهيئات التي دعمت الجهاد. وقد ذكر لي أحد القادة الميدانيين على الأرض الأفغانية «كشمير خان» أن الدرهم والدينار يعدان سببًا مباشرًا من أسباب التمزق بين «الفصائل» الأفغانية).

٦ - أظن أن معظم المجاهدين الأفغان قد وثقوا في البداية بكل المجاهدين العرب، على اعتبار أنهم قادمون من الأراضي المقدسة، وأنهم يملكون العلم

والرأي والمشورة، ولم يكن كل المجاهدين العرب على قدر من العلم الشرعي والفقہ فيه، ومن ثم لم يكونوا جميعاً على قدر من تقديم الرأي والمشورة.

٧- وأظن أن المجاهدين الأفغان لم يكونوا جميعاً على قدر من العلم الشرعي والفقہ فيه، بل ربما كان جزء منهم يفتقر إلى الشعور بالجهاد المعروف لدينا شرعاً، فكان وجودهم في الساحة رغبة منهم في عدم التمكين للشيعوعيين. وهم وإن كانوا لم يعدموا «الروح» الإسلامية، إلا أنها كانت تلك الروح «التقليدية» التي لم تُخضع للتوجيه. وهذا يبرر النقطة الثالثة أنفاً.

٨- وقد دخل بين المجاهدين من الأفغان وغير الأفغان جماعة من المنافقين والمرجفين في الأرض، وكانت لهم أيادٍ سوداء في مسيرة الجهاد. فقد اختلطوا في الميدان فأثاروا الحزازات والشحناء والعرقية والقبلية والإقليمية ولشعوبية بين المجاهدين، واستمروا في هذا حتى بعد تحقق النصر. وأظنهم لا يزالون مندسين في صفوف المجاهدين.

٩- ومع أننا منهيون عن الدخول في النيات، وكثيراً ما نهاني أحبتي عن الخوض في هذا، إذ إنه مما لا يعلمه إلا الله تعالى، إلا أن بعض الممارسات قد تكشف عن مدى الإخلاص في خدمة الأهداف. وأزعم أن الإخلاص في العمل كان مفقوداً لدى «بعض» المجاهدين، وليس جميعهم. فقد أشغل بعضهم بما لا ينبغي لمجاهد أن يشغل فيه.

١٠- وربما يكون من الأسباب أيضاً إغفال الشوائب التي صاحبت الجهاد في الوقت الذي أريد فيه أن يكون الجهاد خالصاً منها جميعها، وهكذا نُظر إلى الجهاد في أفغانستان. ويدخل في الشوائب من هذا المنظور تدخل القوى الأجنبية التي لم تتدخل من أجل الجهاد أو المجاهدين، إذ إنها تعدُّ معادية للإسلام، وهي كذلك. وكان تدخلها يحقق لها تقويض الشيوعية، عدوها

المباشر، حينئذ. وكانت هذه النقطة هي مدار النقاشات والحوارات التي كان لها أثرها في النظرة إلى الجهاد والمجاهدين في أفغانستان.

ومع هذا كله، ومع عوامل أخرى غفلت عنها أو غابت عني، فإن المجاهدين في أفغانستان قد سجلوا نصراً لم تسجله أمة معاصرة:

أ- فقد انتصروا بصمودهم أمام الشيوعيين طيلة هذه السنين الأربع عشرة.

ب- وقد انتصروا عندما اضطروا الروس على الانسحاب سنة ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م والتخلي عن بيادقهم في كابول.

ج- وقد انتصروا عندما استطاعوا تجاوز العقبات التي وقفت في طريقهم وسعت إلى تمزيقهم أكثر مما هم عليه من عدم قدرة على الاتحاد أمام العدو.

د- وقد انتصروا عندما دخلوا كابول مخرجين البيادق تحت حماية «الأمم المتحدة» فدخلوها مرفوعي الرأس.

هـ- وهم الآن ينتصرون على أنفسهم وعلى الشيطان، ويدخلون المرحلة الجديدة المتمثلة في قطف الثمار، وإقامة مجتمع مسلم يحكم بالإسلام، ويقيم شرع الله على أرض الله.

ولا أرى من الحكمة التخلي عن الأفغان رسمياً وشعبياً وهم يمرون بمرحلة صعبة جداً رغم ما قد بدا عليهم من الشقاق والنزاع حول أمور ظاهرها أنها دنيوية عاجلة. ولا يبدو لي أنه من مصلحة المسلمين ترك الأفغان لأنفسهم، فتهتز فكرة الجهاد ومفهومه في النفوس، وتكون لها آثارها النفسية والعقدية غير الحسنة على مضي الجهاد في سبيل الله في أماكن أخرى من بلاد المسلمين التي تعصف بها النكبات.

ومع الدعوة إلى عدم التخلي عن الأفغان تتزامن الدعوة إلى النظرة الواقعية للأوضاع القائمة في المجتمع المسلم اليوم، مع الابتعاد عن المثاليات التي لا تقبل التحقيق على أرض الواقع في وقت قصير. والاستعجال سمة طغت على بعض الأنشطة اليوم. ولا بد من الاهتمام بالقاعدة والسعي إلى تنشئتها صلبة قوية قابلة لتحمل ما تمرُّ به الأمة من تحدّيات وأزمات .

وفّق الله الأفغان في مرحلتهم القادمة ، وأعانهم على أنفسهم والشياطين . وآمل أن تساهم هذه الوقفات في تبيان مرحلة من المراحل التي مرَّ بها المجاهدون والمسلمون في حياتهم الطويلة الممتدة إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً. على أيّ لا أزعّم أن هذه الوقفات تعين على التقويم العلمي الموضوعي المجرّد ، فإنما هي وقفات عاجلة نشرتها صحف سعودية محلية ، وفي مقدمتها جريدة الجزيرة التي يعود لها الفضل الأول ، بعد الله تعالى ، في تسطير هذه الوقفات ، كما يعود الفضل الأول ، بعد الله تعالى ، إلى رئيس تحريرها الأستاذ محمد بن ناصر بن عباس في استقامة هذا القلم ، إن يكن قد استقام ، فقد فتح لي الأستاذ محمد بن ناصر بن عباس ، رئيس التحرير ، صفحات الجريدة . وكان له أثره على ما استطعت الآن أن أخرج به من مجموعة من الوقفات هي في الأصل مقالات نشرت في جريدة الجزيرة وغيرها ، ومنها هذه الوقفة مع الجهاد والمجاهدين في أفغانستان . فالشكر الجزيل قليل في حقه ، وفي حق زملائه في الجريدة . وكان الله في عون الجميع .

الرياض في ١ / ١ / ١٤١٥ هـ

علي بن إبراهيم النملة